

"مركز الحوار" في واشنطن يناقش قابلية العالم العربي للاستعمار:

المفكر السوري جودت سعيد: ما أصابك من سيئة فمن نفسك

أقام "مركز الحوار العربي"، في منطقة واشنطن، ندوة خاصة عن تداعيات الموقف في العالم العربي والعودة إلى حالة شبيهة بالقابلية للاستعمار من جديد، وقد تحدث عن هذا الموضوع المفكر الإسلامي جودت سعيد الذي وُلد في مدينة القنيطرة السورية واستكمل دراساته عن الإسلام في الأزهر الشريف وألّف كتباً عديدة عن أحوال المسلمين والنهضة وكيف يغيّر المسلمون ما بأنفسهم.

وركّز المفكر الإسلامي جودت سعيد في محاضراته على أنّ العالم العربي والدول الإسلامية حين تلتقي في أيّ مؤتمر تجعل من القضية الفلسطينية القضية الأولى للعرب والمسلمين وتتناسى أنّ ما يعاني منه الشعب الفلسطيني والمسلمون في مناطق أخرى من العالم ما هو إلا عرض لمرض أساسي هو التخلف وحالة القابلية لتدخل الأجانب في شؤون الدول العربية والإسلامية بدرجة ترقى إلى وضع القابلية للاستعمار. وقال المفكر سعيد جودت إنّ مالك بن نبي قال له إنّ تلك الحالة تكوّنت في العالمين العربي والإسلامي قبل أن يخطر على بال الاستعمار أن يزرع بجيوشه فوق أراضي العرب والمسلمين من خلال المفهوم القرآني "ما أصابك من سيئة فمن نفسك". وضرب الأستاذ سعيد مثلاً على أنّ حروب العرب مع إسرائيل لم توقظهم من غفلتهم ابتداءً من تفسير هزيمة 1948 والحكام الخونة الذين باعوا فلسطين أو تخلّوا عنها وعدم إدراك أنّ الهزائم التي تتابعت تتمّ عن حالة من التخلف تعود بجذورها إلى مشكلة النظام الأبوي الشائع في الثقافة السياسية والاجتماعية في العالم العربي وعدم فهم العرب والمسلمين للواقع والتاريخ لأنهما ملغيان بسبب عبادة النصوص وبسبب انهماك العرب والمسلمين في الانشغال بالصراعات عن واجباتهم الأساسية الأخرى وأهمّها النهوض بالعالم العربي والابتعاد عن كلّ عوامل التخلف التي تجعله قابلاً للاستعمار. واستشهد المفكر الإسلامي السوري جودت سعيد بعبارة خرج بها المؤرّخ توينبي من دراسته للتاريخ مفادها أنّ الحضارة لا تسقط شهيدة بل تسقط منتحرة ثمّ تهجم عليها النور والصفور بعد أن تفقد الروح وتصير جثةً هامدة، وهكذا صار وضع العالم العربي.

وأعرب الأستاذ سعيد عن أمله في أن يحذو العرب حذو الأوروبيين الذين توصلوا من خلال تجاربهم إلى أنّ التناحر فيما بينهم يسدّ الطرق إلى النهضة وأنّ تسخير الموارد والطاقات لتحقيق هدف إزالة الآخر هو هدر للموارد وخسارة للغالب والمغلوب، وقال إنّه ربّما كانت البداية إتاحة مناخ من الديمقراطية يتيح التعبير عن الرأي والرأي الآخر والإيمان بأنّ في التعاون العربي فائدة تعود على الجميع، وضرب مثلاً بأنّه عندما تعاونت مصر وسوريا في الإعداد لمعركة أكتوبر (تشرين الأول) عام 1973 تمكّنتا من تحقيق نصر عسكري وحشد كلّ الطاقات العربية في مظاهرة تضامن فريدة عبر فيها العالم العربي حاجز الرعب من أسطورة إسرائيل التي لا تقهر وانتفع العرب بارتفاع أسعار بترولهم وتراكت الثروات في الدول المنتجة للذهب الأسود في حين أنّه

عندما تنازع بلدان عربيان ونشبت حرب الخليج فشل العرب وذهبت قوتهم وخسروا أموالهم وازدادت شقّة الخلاف بينهم.

وتحدّث المفكّر الإسلامي جودت سعيد في محاضراته بمركز الحوار العربي في واشنطن عن ضرورة استفادة العرب من تجارب وعظات التاريخ مع تجنّب الخطأ بين ما يكتبه المؤرّخون عن فهمهم للوقائع وبين عواقب تلك الوقائع. فالتاريخ، كما يقول، ليس ما كتبه الناس عن الشيوعية سواء كانوا مؤيدين لها أم معارضين لها وإنما عظة التاريخ هي العاقبة التي وصلت إليها بانهيار الاتحاد السوفييتي والمسلك الذي أدّى إلى تلك العاقبة.

واستشهد السيد جودت سعيد بنظرية المفكّر الإسلامي محمد إقبال في الحكم على مدى صحّة حضارة أو ثقافة من خلال النظر إلى نموذج الإنسان الذي تنتجه هذه الحضارة ومدى قدرته على التمييز بين الصالح والفاقد من العواقب والوقائع، وأشار في هذا الصدد إلى حديث شريف للرسول محمد عليه الصلاة والسلام قال فيه "أهلك من كان قبلكم أنّه إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحدّ".

وتساءل المفكّر الإسلامي جودت سعيد أمام الحاضرين في مركز الحوار العربي: "لماذا نجد المسلمين في عالم اليوم هم أخسر الناس أعمالاً من دون الناس أجمعين"، وتطوّع بالإجابة فقال إنهم لم يعرفوا الله بعد ولم تتجاوز معرفتهم به قول الله تعالى "وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين".

وفسّر ذلك بقوله إنّ الكون خلقه الله على سنن قابلة للتطورّ ولذلك ينبغي أن يتوقّف المسلمون عن عبادة النصوص التي قادتهم إلى الجمود والتخلّف بينما تقدّمت كلّ الأمم الأخرى.

ونبّه الأستاذ جودت سعيد إلى ضرورة تخلّي العرب والمسلمين عن فكرة أنّ تكديس الأسلحة هو الضمان للأمن والتقدّم وأشار إلى أنّ العالم العربي ينفق سنوياً أموالاً طائلة على شراء أسلحة يعرف من يبيعها للعرب كيف ومتى يدمرها إذا أصبحت خطراً على مصالحه، بينما لم تتوحّد أوروبا وتصبح بقوة الاتحاد الأوروبي من خلال الفتح العسكري وإنما بالعلم والمعرفة والممارسة الديمقراطية، وعلى الجانب الآخر فلم يكن انهيار الاتحاد السوفييتي بسبب قلّة ما لديه من أسلحة وإنما لفشل الفكر والمعرفة، وقال:

"لقد تمكّن لبنان من إجبار قوات مشاة البحرية الأمريكية على الخروج من أراضيها في وقت كان الشعب يقاتل بعضها بعضاً ولم تكن في بيروت حكومة ولا جيش، وتكرّر ذلك مع قوات إسرائيل في حصار بيروت، في حين سقط النظام في بغداد رغم تكديسه الأسلحة من كلّ نوع لقيامه على أساس استخدام القوة في قمع الشعب العراقي وإذلاله".

وخلص المفكّر السوري جودت سعيد في ندوة مركز الحوار العربي إلى أنّ الخروج من حالة القابلية للاستعمار التي يمرّ بها العالم العربي حالياً تقتضي إدراك حقيقة أنّ التاريخ هو العقل، وعقل العالم العربي في أزمة، لأنّ العرب في أزمة مع التاريخ، ولتجاوز تلك الأزمة يجب الاعتبار بتجارب الماضي والاستفادة ممّن مروا بأزمات مثلهم بل وأسوأ منهم مثل الحروب التي أذاق العالم الغربي فيها بعضه بأس بعض وكانت حروباً

قومية أحياناً ومذهبية أو عالمية أحياناً أخرى ثم كيف تجاوزوا تلك الأزمات، وشدد على ضرورة توحيد المصالح العربية بالأسلوب نفسه الذي وحد به الأوروبيون مصالحهم لفائدة الجميع وقال: "يجب أن نختزل التاريخ بأسلوب سلمي وعلمي فإن لم نتعلم فسيعلمنا التاريخ بالمعاناة والعذاب".

تتأكد أهمية تجربة "مركز الحوار" وفوائدها العديدة من خلال تشجيع أسلوب الحوار بين العرب من جهة وبين العرب والمجتمع الأميركي من جهة أخرى، وذلك عبر أنشطة (باللغتين العربية والإنجليزية) تشمل مطبوعات دورية وموقعا هاما على الإنترنت، إضافة إلى ندوات أسبوعية بلغ عددها 542 ندوة حتى نهاية العام 2003، شملت ميادين الفكر والثقافة والسياسة والعلاقات العربية الأميركية. لمزيد من المعلومات عن "مركز الحوار العربي" في واشنطن:

<http://www.alhewar.com>

AL-HEWAR CENTER

MAILING ADDRESS: P.O. Box 2104, Vienna, Virginia 22180 - U.S.A.

Telephone: (703) 281-6277 Fax1: (703) 281-0528 Fax2: (775) 854-9846

E-mail: alhewar@alhewar.com